اسم الكتاب:حافية القدمين

تأليف: جيلان محمد

النوع: قصه

تصميم الغلاف: مؤسسة برديس .

تنسيق داخلي: أينور جلال

الدار: دار اليانور للنشر الإلكتروني.

رقم تواصل الدار: 01151293168.

جميع حقوق النشر محفوظة©

يمنع مانعًا باتًا الأقتباس أو إعادة النشر سواء بالطباعة، أو النشر الإلكتروني، أو التصوير الضوئي للمحتوى، أو أي جزء منه إلا بأذن كتابي من الناشر و المؤلف.

و من يخالف ذلك يعرض نفسة المساءلة القانونية طبقًا لحقوق الملكية الفكرية المنصوص عليها في القانون.

أنهيتُ من رسم لوحتي الجديدة، ووضعت عليها اللمسات الأخيرة على اللوحة،
وأنظر إلى اللوحة التي رسمتها وأبتسم كما أبتسم لكل لوحة أنتهي من رسمها
نعم ..
أبتسم لها ..
لهذه المرأة المنفردة الإستثنائية وهي ترقص حافية القدمين في سعادة وحرية
ليست المرة الأولى التي أرسم فيها إمرأة ترقص حافية القدمين،
ولكن في كل رسمة أُغير شيئاً، مثل لون فستانها
، أو خلفية المكان الذي ترقص فيه
كل شئ يتغير، ولكن تبقى كما هي ترقص حافية القدمين
وكأن لو إهتز الكون تستمر في رقصتها كما هي
هي أشبه بقمرٍ منير وسط سماءٍ معتم
هذه المرأة تُسحر قلبي
ليس لجمالها، وإنما رقصتها وهي حافية القدمين
أتذكرون هذا المقطع من أغنية شهيرة للقيصر كاظم الساهر؟

قاتلتي ترقص حافية القدمين في مدخل شرياني
من أين أتيتِ؟ وكيف أتيتِ؟ وكيف عصفتِ في وجداني؟

نعم أنتِ أشبه بعاصفةٍ تعصف وجداني وقلبي وكل شئٍ فيّ
أنتِ الإستثنائية عندي

أحبك رغم أننا لم نلتقي بعد
وأعدك أنكِ سوف تحبيني مثلما أحبكِ

وقررتُ بعد ذلك الذهاب إلى المسرح التي أحب أن أذهب إليه؛ لأُمتع نظري بلوحة متحركة ومعها خلفية موسيقية تُعطي للوحة لون مدهش وساحر

إنقطعت عنه فترة، ولكن سأعود لأنني إشتقتُ لمشاهدة تلك اللوحات التي تأخذ العقل إلى عالم ليس فيه إلا الغناء والإستعراض

وصلت إلى المسرح، وأجلس في مكاني المعتاد

وفي إنتظار فقرة إستعراضية جديدة

ويأتي شخص يُحيي الجمهور ، ويعلن عن بدء فقرة متميزة إستعراضية

لراقصة في وقت قصير، ولكن إستطاعت قلب الموازين

يبدو أنني في الفترة التي إنقطعتُ فيها الذهاب إلى المسرح، ظهرت موهبة جديدة قلبت الموازين

ألهذا صالة المسرح ممتلئة على أخرها على غير المعتاد؟

ألهذه الدرجة هذه الموهبة الجديدة خطفت القلوب في هذا الوقت القصير؟

أريد أن أعرف من هي؟

لم يقل إسمها

قال فقط إنها حافية القدمين

حافية القدمين

أهذا حُلم؟

لا أصدق أنه قال لقب حبيبتي الخيالية

وخرج الرجل وتدخل هي

دخلت

هذه هي....كما تخيلتها

جمالها...شكلها ..قوامها

وبفستانها الأبيض لتبدو كقمر وسط سماء معتمة

هي بالفعل قمر

هي قمر تنير الأرض بسحرها

والأهم من كل هذا دخلت وهي حافية القدمين

وبدأت ترقص

أخذت نفسها وأخذتني معها إلى عالم آخر

هذه ساحرة قلبي

قاتلتي ترقص حافية القدمين

ترقص وهي تشعر بحرية،

كعصفورةٍ تحررت للتو من أسرها

ترقص وترقص

لوحتي الساكنة تتحرك مع خلفية موسيقية تتناسب مع رقصتها الرقيقة مثلها

وينتهي العرض وأصفق لها مع الجمهور

وتقوم بتحية الجمهور بإبتسامة لا أجد أجمل منها وخرجتِ

وخرجتُ وحاولت اللحاق بها، ولكنها رحلت تركتني وأنا أشعر أنني في حُلم جميل، ولا أريد أن أفيق منه

وعدت إلى البيت وأنا أطير..

أطير من سعادتي

أخيراً إلتقيتكِ يا حافية القدمين

كما تخيلتكِ

وفتحتُ هاتفي على مقطع أغنيتي المفضلة لدي التي أدمنتها لأجلك

وتوجهت إلى لوحتي الأخيرة وأتحسسها بيدي

وكاظم يسأل

من أين أتيتِ؟ وكيف أتيتِ؟ وكيف عصفتِ في وجداني؟

كيف عصفتِ في وجداني يا ساحرة قلبي

كل ما فيكِ ساحرٌ

أحبكِ

ومرت الأيام

وأنا كل يوم أذهب إليكِ

وأشاهد رقصكِ

كل ما فيكِ يعبر عن الحرية والحياة

ترقصين رقصة الحياة

أتأمل هذا الوهج الذي يحيط حولكِ

أنتِ القمر وحولكِ النجوم

وتُنهي رقصتك، وأصفق لكِ

ليس إعجاباً برقصكِ فقط

أصفق تحية لكِ؛

لأنك موجودة في حياتي

وأحاول الوصول إليكِ،

ولكن أيضاً أفشل في ذلك

بدأت أقتنع حقاً أنكِ قمر في السماء

وأنا أقف على الأرض

لا أستطيع الوصول إليكِ أبداً

ولكنني لن أيأس

سأصل إليكِ مهما كان الثمن

حتى يوم

جئت كعادتي أشاهدك وأنتِ ترقصين حافية القدمين

وصفقت لكِ كعادتي؛ لأن كل ما فيكِ رائع

وخرجت أحاول الوصول إليكِ

لأسمع صوتكِ من خلفي يُناديني

كنتِ أنتِ

نعم هذا صوتكِ

لا يقل سحراً عن رقصتك وكل شيءٍ فيكِ

صوتكِ مثل الناي حنون ورقيق

نظرتُ إليكِ

لأجدكِ أمامي

تبتسمين إبتسامة تخطفني من كهف أحلامي

هذه أنتِ؟

وتتقدمين بخطواتٍ هادئة وتهتفين بصوتكِ الرقيق:

أنت من تحاول أن تصل إلي بعد كل عرض؟

أجفلتُ في لحظة

كيف عرفت؟

أم هذه ما يطلقون عليها الحاسة السادسة عند النساء؟

لأرد عليها بسؤال:

كيف عرفتِ؟

وترد:

عرفت من عينيكِ، فأنا أجد قراءة العيون،عندما أقوم بتحية الجمهور بعد رقصي أنظر نظرات سريعة كل شخص، وأعرف ماذا يريد؟

فقرأتُ في عينيك أنكَ كنت تنتظرني منذ زمن بعيد، وكأنني كنت مسافرة وعدتُ للتو

فأبتسم لذكاء هذه المرأة

يبدو أن كل النساء تتميزن بالذكاء

وحدهم الرجال معروف أمرهم

وأسألها وأريد أن أعرف إلى أي مدى ذكية:

وماذا عرفتِ أيضاً؟

تجاوب بثقة:

عرفتُ أنك فنان، بالأخص رسام

لا، لابد أن هذه المرأة تعرفني،

هل من الممكن أن تكون قرأت أفكاري؟

هذه المرأة ذكاءها ساحر أيضاً

تمتلك هذه المرأة سحر العالم كله

وأسألها:

كيف عرفتِ أنني رسام؟

لترد:

كنت أرى عينيك ترسمني،

نظراتك نظرات رسام يرسم بعينيه قبل كفيه

لأرد بصراحة لم أستطع أن أخفيها:

أنتِ خطفتِ قلبي

لتضحكي ضحكة تأسرني بشدة، ضحكة ممزوجة بين براءة طفلة، ونضج أنثى

لتقولين بصوتكِ الآسر:

أريد أن أرى لوحاتك

تأملت جمال هذه المرأة برهة وقلت:

لا داعي لرؤية لوحاتي، أخاف أن لوحاتي تصيبكِ بالملل

فأمسكتِ يدي،

هذه أول إمرأة تمسك يدي

فأخذت أتحسس يدها

لم أجد في نعومة يد إمرأة مثل يديكِ

نعومة يديكِ مثل نعومة يد طفلة رضيعة

وهل يوجد شئ أخر لم أنبهر به بعد يا حافية القدمين؟

وهتفتِ:

أنا لا أصاب بالملل أبداً، خصوصاً أنني أعشق الرسم

نعومة صوتكِ تتنافس مع نعومة يديكِ

أنتِ تعيشين في عالم كله رقة ونعومة

عالم خاص بكِ وحدكِ

ولم تتأثري بخشونة وقسوة العالم حولكِ

عالمك كله رقص وموسيقى ناعمة تتناسب مع رقصتك وأنتِ حافية القدمين على أرض لا تقل نعومة عن عالمك الخاص

وأخذتكِ من يدكِ لأذهب بكِ إلي شقتي؛ لتشاهدي لوحاتي،

ستشاهدين نفسكِ في هذه اللوحات، وستعرفين أنني أحببتكِ قبل أن أراكِ

القلب يعشق قبل العين

ونحن في الطريق كنت أمسك يدكِ الرقيقة والهشة مثل الكريستال

وأخاف أن تتكسر في يدي،

ولكن كنت أمسكها بنوع من القوة، وكأنكِ طفلة صغيرة أخاف أن تهربي ولا أعرف أصل إليكِ مرة ثانية

أما أنتِ فكنتِ شاردة مع خيالك، وكأنكِ تذهبين لتشاهدي لوحات لبيكاسو

وليست لي

فأنا مجرد رسام عادي، ولست مستوى بيكاسو

ولكن لا يحب الجميل إلا الجميل مثله

وأنا متأكد أنكِ ستعشقين لوحاتي يا قاتلتي

وصلنا إلى البيت

وخلعتِ حذاءك وسرتِ حافية القدمين

مثلما أحب نعم

سأظل أعشق أن تسيري على الأرض حافية

وأحسد الأرض؛ لأنها تلمس قدميكِ الناعمتين

مثل كل ما فيكِ

ونظرت إليكِ وأنتِ تتأملين المكان

وتعجبتِ وسألتِ:

أهذا بيت أم مرسم؟

لأرد:

الإثنين

وأخذتِ تنظرين إلى لوحاتي لتشاهدي نفسك في هذه اللوحات

جميعها تمثلكِ أنت

ترقصين حافية القدمين في مدخل شرياني قبل أن ترقصي على خشبة المسرح

وأخذتِ تتحسسين لوحاتي بيدكِ،وكأنكِ أضفتِ فيها بصمتك الخاصة بكِ

بصمة فنانة

وتقفين عند لوحتي الأخيرة وأنتِ ترتدين فستان أبيض كعروس تُزف ، وترقص رقصة الأفراح وهي حافية القدمين

وتهتفين بصوت رقيق حنون:

هذه اللوحة تشبهني

لأسألها:

لماذا؟

فتجيبي:

لأن الأبيض يشبهني، فالأبيض رمز النور، فأنا أكره الظلام

ما هو إلا سجن أسود

والظلام يعني القيود التي تكبل جسدك

يعني الموت وأنت لا تزال على قيد الحياة

وأنا لا أحب شئ إلا الحياة والحرية

أتعرفُ؟

أنا أحب الرسم، ومع ذلك لم أجيده

لم أجد أي نوع من الفنون إلا الرقص

وجدت في الرقص حياة

وأنني بدون رقص لكنت ميتة الآن

وأحب أرقص حافية القدمين؛ لأنني أرى أن الرقص حرية ولا أريد له أي حاجز

الحذاء يمثل حاجز بيني وبين الأرض

فقررت أن أخلعه عند الرقص، وهنا أكون حرة حقاً

أما أنت لماذا رسوماتك كلها لإمرأة ترقص حافية القدمين؟

ما الذي يميزها في وجهة نظرك؟

سعدت بإنطلاقتك في الحديث معي

وأوضحتِ لي لماذا ترقصين وأنتِ حافية القدمين؟

ها أنا أجيب عليكِ الآن:

سوف أُسمع لكِ هذا المقطع المفضل لي، وبعدها سأخبرك لماذا رسوماتي كلها لإمرأة ترقص حافية القدمين؟

وسمعتها المقطع المفضل عندي

يبدو أنها تسمعه للمرة الأولى

وأبدت دهشتها في البداية وردت :

أعرف هذه الأغنية، أليست من أشعار نزار قباني؟

لأرد :

بلى

وأخذتِ تدوري حول نفسكِ وهتفتِ:

أعرفه هو شاعر المرأة، وفي كل قصيدة يحب المرأة لسببٍ مختلف

مرة أحب عينيها، ومرة أحب شعرها، ومرة أحب قوامها

ولكنها غريبة بعض الشئ أن تعصف وجدانه إمرأة ترقص حافية القدمين

هل أحبها لأنها راقصة؟ أم لأنها ترقص حافية القدمين ، وهذا فيه نوع من التحدي عند المرأة؟

أنا أيضاً لا أجد إجابة لأي سؤال، ولكن لو كنتِ توجهين السؤال إلى سأجيبك:

أحببت حافية القدمين لأنها تتحدى نفسها قبل أن تتحدى الآخرين،

وأنها إمرأة متفردة أشبه بالموت والولادة

لا تتكرر أبداً

وسألت:

كيف لإنسان أن يحب شخص قبل أن يراه؟

أمسك يدكِ وأهتف:

دائماً أقول أن القلب يعشق قبل العين، كنت أعرف أنني سألتقي بكِ يوماً ما، وها إلتقيتكِ

وتسألي:

ولو لم نلتقي؟

وأرد:

قلبي أخبرني بأننا سنلتقي حتى لو بعد ألف عام ، ودائماً أصدقه

وتوجهتِ إلى النافذة وقمتِ بفتحها

وأخذتِ تستنشقِ رائحة نسيم الليل

رائحة الهدوء

ونظرتِ إلى ثم قلتِ:

الطريق الآن خالي من المارة، ما رأيك أن ننزل ونرقص سوياً

هذه المرأة تعشق التحدي وتقبل على المغامرات، دون الإعتبار لأي شخص

وأنا ما صدقت أنني وجدتكِ كي نقبل على الجنون سوياً دون إعتبار للعالم

ونزلنا سوياً

وتركتِ حذاءكِ في شقتي ونزلتِ مثلما أحببتكِ حافية القدمين

وأخذنا نرقص رقصة التانجو

ولم أشعر بسعادة في حياتي مثل الآن

وأنتِ أيضاً أجد عينيكِ تضحك بفرحة اللحظة

وفي كل حركة من رقصك تهتف بأنكِ أسعد إنسانة على الأرض

لأهتف بالكلمة التي حلمت أن أنطقها لكِ منذ أن أحببتكِ بقلبي قبل عيني:

أحبكِ

وتستمري في الرقص وتضحكين برقة عذبة وهتفتِ:وأنا لن أحبك حتى تخلع حذاءك وترقص معي حافي القدمين

لأجد نفسي أستجيب لكِ يا أميرة قلبي

وأخلع حذاءي

هكذا صرت مثلك حافي القدمين

ورقصنا ونحن بلا حذاء يقف حائل بيننا وبين الرقص بحرية

ورقصنا ونحن نترك والتاريخ يكتب عن قصة حب

فريدة من نوعها قصتنا ستكون مثلكِ

إستثنائية يا حافية القدمين

أصبح قلبي عبداً لكِ

وأصبح مثلكِ حافية القدمين

إستمري في عاصفتك في وجداني

وأنا أيضاً سأعصف في وجدانكِ

يا ساحرة قلبي

يا من جعلتيني مثلكِ

إستثنائي

وحافي القدمين

أحبكِ

وتردِ:

وأنا من هذه اللحظة سأكون أميرة قلبك الأبدية

أحبكَ